ما بعد محفوظ عبدالرحمن

عبد الناصر سلامة*

قلة قليلة من الأدباء تركوا أثراً فى الشارع، أمثال نجيب محفوظ وعبدالحميد جودة السحار ومحفوظ عبدالرحمن وأسامة أنور عكاشة، ومعهم إحسان عبدالقدوس ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم، كما قلة من المفكرين أيضاً أمثال جمال حمدان والدكتور عبدالوهاب المسيرى والدكتور مصطفى محمود، وعباس محمود العقاد، كما قلة من علماء الدين أمثال الدكتور عبدالحليم محمود والشيخ محمد متولى الشعراوى، كما قلة من الفنانين أمثال يوسف وهبى ونجيب الريحانى وإسماعيل ياسين وفاتن حمامة، كما قلة من المطربين والمطربات أمثال أم كلثوم وعبدالحليم حافظ وشادية وفايزة أحمد ووردة ونجاة.

القلة هنا نسبة وتناسب مع الأعداد الكبيرة للأدباء والعلماء والمفكرين والفنانين والمطربين، الذين نراهم ونسمعهم على مدار الساعة، هم بالمئات فى هذه وتلك، إلا أن نسبة من تركوا أثراً فى

---

* كاتب صحفي مصري، نشر في المصري اليوم بتاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠١٧.

obeikan.com

عقل المواطن وعلامة فى تشكيله وبصمة فى تكوينه، لا يصل عددهم إلى ١٪ أحياناً، لذا نجد فى كل المهن من يردد أن (المهنة لمت)، فى إشارة إلى أن الدخلاء أصبحوا أغلبية ساحقة، هكذا الحال فى الصحافة أو فى الإعلام عموماً، كما بين الشعراء، كما بين الملحنين، باختصار: فى صفوف المهن التى تحتاج إلى إبداع، بمعنى أنها ليست وظيفة يجب التعيين فيها باكتمال المسوغات الورقية، ذلك أن المسوغات هنا يجب أن تنطلق من موهبة واستعداد فطرى بالدرجة الأولى.

الملاحظ أن كل الأسماء التى تم الاستشهاد بها قد فارقت الحياة، أو بمعنى أصح ذهبت للقاء ربها، لم يعد من بينهم من يعيش بيننا، تركوا الأجيال الجديدة فريسة لإنتاج أدبى وفنى بلا قيمة، بالتالى كان ما كان من ذلك الانحدار والتدهور، كما هو الحال مع علماء الدين الذين تركوا الساحة أيضاً لكل من هب ودب، فتاوى فضائيات وفتاوى توك شو، كما هو حال الطرب والتأليف والتلحين، كما صناعة الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون، إلا من رحم ربى.

أعتقد أن وفاة الروائى الكبير محفوظ عبدالرحمن ليست مجرد وفاة، بقدر ما هى فقدان آخر أعمدة ذلك التأثير الفكرى والفنى الذى أشرنا إليه، هو رحيل لبوابة الحلوانى، وساعة ولد الهدى، وناصر ٥٦، وسليمان الحلبى، وليلة سقوط غرناطة، ومصرع المتنبى،

والكتابة على لحم يحترق، وأم كلثوم، والفرسان يغمدون سيوفهم، هو رحيل الإنتاج الجاد بلا إسفاف، التأريخ بلا نفاق، لم نعهد على الرجل أى محاولات للتقرب من السلطة، أى سلطة، لا على أرض الواقع، ولا على ورق الكتابة، عاش كما مات محترماً من كل الوجوه، شاهدنا رد فعل الشارع من خلال نوافذ عديدة، لم يختلف عليه أحد كما هو حال الكثيرين، لذا توالت عليه رحماتهم.

أعتقد أن وفاة محفوظ عبدالرحمن فتحت باباً واسعاً للمواجع، شعرنا به مع فقدان كل ما هو مشابه، لم يعد أمامنا سوى الغث إلا ما ندر، نتيجة عقائد دينية وسياسية مشوشة، اختلطت فيها المفاهيم إلى الحد الذى خرج عن السيطرة، أصبح الإلحاد طريقاً للشهرة، والنفاق طريقاً للسلطان، أصبحنا نبحث عن أقل القليل من احترام الذات، ربما احترام الآخرين يأتى فيما بعد، للأسف لا وجود لهذه ولا لتلك، أصبحوا عملة نادرة، يتساقطون واحداً تلو الآخر، إنها المرحلة بكل ما تحمل من مآسٍ.

بالتأكيد هو التعليم الذى أصبح من الماضى، تعليم اللغة، كما تعليم الدين، كما تعليم أصول التربية، كما أصول الأخلاق، كما أصول كل شىء، أيضاً هو المعلم الذى أصبح من الماضى هو الآخر، المعلم القدوة، والمعلم الكفء، والمعلم النموذج، لذا كان الإسفاف أمراً طبيعياً، إسفاف الإعلام، كما إسفاف الشارع، كما إسفاف

المسؤولين.. رحم الله محفوظ عبدالرحمن، بقدر ما ترك من إرث أثرَى به المكتبة العربية، وأثرى به العقل العربى، وأسكنه فسيح جناته، وألهم زوجته السيدة سميرة عبدالعزيز الصبر والسلوان، والتى كانت عوناً وسنداً فى السراء والضراء، اللهم آمين.

obeikan.com